

ذِكْرُ الْمَوْلَى النَّبِيِّ

٣

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ،
 ثُمَّ خَرَجَا مَتْرُودَيْنِ مِنْ خَوْخَةٍ^(١) فِيهَا وَاسْتَخْفِيَا فِي الْغَارِ الْمَعْرُوفِ بِغَارِ
 ثَوْرٍ^(٢)؛ وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا دَلِيلًا مَاهِرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيُرْحَلَ بِهِمَا،
 وَأَعْطِيَاهُ رَاحِلَتَيْهِمَا وَأَمَّنَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا^(٣) وَوَعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ،
 فَكُنْتُمْ أَمْرَهُمَا وَوَأَفَاهُمَا فِي الْمَيْعَادِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِخُرُوجِهِمَا،
 خَرَجَتْ بِالْقَافَةِ فِي طَلَبِهِمَا^(٤) حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، صَرَفَ
 اللَّهُ عَنْهُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ؛ وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
 لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَا بُصْرَنَا، فَقَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ
 مَا ظَنَنْتُكَ بِأَنْتَئِينَ اللَّهُ تَالْتَهُمَا؟ لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ
 ثَلَاثِ جَاءَ الدَّلِيلُ فَرَحَلَ بِهِمَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ
 فَهَاجَرَ مَعَهُمَا، وَكَانَتْ نَارُ الطَّلَبِ قَدْ خَمِدَتْ عَنْهُمَا، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٤٧٣

(١) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير

(٢) ثور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم

(٣) فيه من العبرة ما كان عند العرب من الامانة والصدق والوفاء

(٤) القافة جمع قائف وهو الذي يسرف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو

الاخفاف أو الحوافر في الارض استدل بها على عددها ووجهة سيرها

لَمَنْ جَاءَهُمْ بِهِمَا دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ
اللَّهِ وَإِلَى كَرَامِهِ لِهَٰمَا ،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ خُرُوجَهُ ^{بِاللَّهِ} مِنْ مَكَّةَ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ
صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْتَظِرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ ، ^(١) وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى
الدِّيَارِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ دَلَى الظَّلَالِ " سَتَى وَآفَاهُمْ
بِقُبَاءِ ^(٢) يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ نَامِنَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَتَلَقَوْهُ بِالْأَكْرَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ نَزْوَاهُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَبَنِي فِيهَا
مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّبَ عَلَى النَّفَوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَعْتِدَالِ
الْخَرِيفِيِّ فِي الزَّمَانِ ، فَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيْعَتِهِ مِنَ الْأَعْتِدَالِ ،
وَكَوْنِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّمَامِ
وَالْكَمَالِ ، وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَعَ بِهِمْ
فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِخَطَائِمِ نَاقَتِهِ :
هَلُمَّ إِلَى الْعُدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنْعَةِ وَالسَّلَاحِ " ^(٣) ، فَقَالَ « نَخَلُوا سَبِيلَهَا فَأَنَابَهَا
مَأْمُورَةٌ » ، وَكَلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النُّزُولِ

(١) الحرة موضع نظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويتقلص ظلال الجدر حتى كأن الشمس
تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع نظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لبركانت

هناك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف بمنى الموضع ، وينصرف أيضا

(٤) الخطام الجبل الذي يوضع في مخيم الراحة أي أتقها لتقاد به و : هلم

الخط حكاية لفوضهم أي قائلين هلم أي أقبل وتعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ « دَعُوها فَإِنَّها أُمُورَةٌ » وَمَا زَالَتْ تَعْرُبُ بِدَارِ بَعْدَ دَارٍ ،
إِلَى أَنْ بَرَكَتْ فِي مَوْجِعِ سَجْدِهِ الْيَوْمَ مِنْ دُورِ أَخْوَالهِ بَنِي النَّجَّارِ ،^(١)
فَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَيْتِهِ ، فَجَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ » ، وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ
حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْناءِ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ
مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ ،^(٢) وَلَمْ يَفْرِحْ إِلَّا أَنْصَارُ بِشَيْءِ كَفَرِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ ،
وَمِنْهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ^(٣) وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ
فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ ، أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي افْتَخَرَ بِهَا شَاعِرُهُمْ
بِبَيْتِهِ الْأَبْيَاتِ :

تَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضَعِّ شَرَّةٍ حِجَّةً يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيًا^(٤)
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ قَلَمَ يَرَمَنْ يُوَوِي وَلَمْ يَرِدَا عِيًا^(٥)

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطلب فان
أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما
بغيرين وخمسمائة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته
التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمهم أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يمكنها
زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج . وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي
بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هونج مكة
(٤) توى أقام والحججة بالسكر السنة والمضج ما بين ٣ الى ٩ أي أقام ثلاث عشرة
سنة بحكة يدكر ويعظ بالدعوة الى الله في أثنائها وانما دعا في عشر منها (٥) المواسم
بجمع الحج . فلم يرم من يؤويه أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم
يرداعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره

فَلَمَّا أَنَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةِ رَاضِيَا^(١)
 وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظَلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا^(٢)
 بِذَلَالَةِ الْأَمْوَالِ مِنْ حِلٍّ مَالِنَا وَأَنْفَسْنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالنَّاسِيَا^(٣)

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا^(٤)
 وَتَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا^(٥)

أهله وبه وبعده الرحمة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ ^{صلى الله عليه وسلم} أَكْرَمَ الْخُلُقِ أَخْلَاقًا، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَأَدَابًا، امْتَأَزَ
 بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ
 خَاطَبَهُ الْعَبِيُّ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، كَانَ جَاهِمًا يَرِنُ
 اللَّطْفِ وَالْتِوَاضِعِ وَالِدَّمَائَةِ، وَيَبِينُ الْعِزَّةِ وَالْوَقَارِ وَالْمَهَابَةِ، مَنْ رَأَاهُ

(١) النوى وجهة المسافر التي ينوبها بسفره. وطيبة المدينة. ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا: فلما أنا أظهر الله دينه فاصبح مسرورا بطيبة راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فاصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس ناثيا

(٣) الوغى الحرب والتأسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكاره

(٤) أي نعادي الذي عاداه من جميع الناس وان كان من قبل حبيبا لنا لا يؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أيبات

أخرى أيضا

بديهة هابه، ومن خالطة معرفة أحبه،^(١) وجامعاً بين الرأفة والرحمة
والحياء، وبين الشجاعة والحزم والمضاء، فكان في حومة ألونغي
أثبت الناس، وكانوا يلوذون به إذا اشتد البأس^(٢)، حتى إنه ثبت
وحده في يوم أحد، وأكفته لم يقتل بيده غير أبي بن خلف^(٣)، وإنما
كان يدافع عن نفسه وغيره دفاعاً، ويرشد المقاتلين بالتدبير
والثبوت إرشاداً، ولم يكن ينتقم لنفسه، ولا يجاني في الحق
عشيرة ولا أبناء جنسه، وكان على جملة ألوايع، لا تأخذه في
الله لومة لائم، وكان أجود من الريح المرسله، والسحب المنهسله،
وكان أعظم الناس صبراً، وأحسنهم لله وللناس شكراً،^(٤) وكان

(١) البديهة الفجأة أي من رآه مفاجأة من غير سابق معرفة خافه أو وقره
واجله لما يتجلى في شمائله من الروعة والهيبة، ومن خالطه أي عاشره مخالطة معرفة
أحبه لحسن خلقه وكال آدابه وشدة رحمته وعنايته بأمر معاشره. وهذا الكلام من
وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهمز ويخفف هنا
للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد هنا الحرب ونحوها من الكاره الشديدة
(٣) كان أبي من رموس المشركين وصناديدهم وكان يعلف فرساً له بكفة اسمه العود
ويقول اقتل عليه محمداً فبلغ النبي «ص» خبره فقال «بل أنا اقتله إن شاء الله»
فلما كان يوم أحد ونكب المسلمون وانكشقوا عن النبي «ص» أقبل أبي مقنعاً
بالحديد لا يرى من بدنه شيء وجعل يقول ابن هذا الذي يزعم أنه نبي فليبرز لي
فانه إن كان نبياً قتلني، فلما دنا من النبي «ص» أخذ النبي حربته من الحارث بن
الهممة فطعنه بها طعنة جاءت في ترقوته من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة التي
على الراس فسكر الخبيث منهزماً ومات من ذلك الجرح في طريقهم إلى مكة قيل
بسرف وقيل براغ (٤) قال «ص» «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» رواه أحمد
والترمذي عن أبي سعيد

يُحِبُّ الْبَسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَكْرَهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ^(١)، رِيًّا كُلُّ مَنِ
الطَّعَامَ مَا وَجَدَ، لَا يَأْتِي الْمُسْتَلْدَ مِنْهُ نُسْكَاءً، وَلَا يَتَحَرَّاهُ تَنْعَاهُ وَتَرْفَاهُ،
وَالْكَيْتَةُ كَانَ يَعْتَنِي بِأَمْرِ الْمَاءِ^(٢)، وَيُحِبُّ الطَّيِّبَ وَالنِّسَاءَ، وَكَانَ
يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بَيْنَ وَبِالْيَتَامَى وَالْأَرْفَاءِ، لِيَمْنَحُوهُمِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ
أَحْتِقَارَ الضَّعْفَاءِ،

كَانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخُلُقِ
الْعَظِيمِ وَالْعِرْفَانِ، فَأَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى إِقْبَمَ كَانُوا
يَتَفَاسَمُونَ الْمَالَ وَالْعَقَارَ، وَأَفَّفَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ
فَأَصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَانًا، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لَا يَأْلُو
أَحَدَهُمَا الْآخَرَ نَفِيًا وَعُدُوًّا، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ،
وَيَسْأَلِي بَيْنَهُمْ فِي الْأَقْبَالِ وَالْبِشْرِ، وَيُوقِّرُ كَبِيرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ،
وَيُكْرِمُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيُشِيخُ مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ،
وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَسْكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ
فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الرَّحَابِ،
فَقَدَّ وَادَعَهُمْ وَأَفْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَأْنَنَهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
عَلَى أَنْ لَا يَحَارِبُوهُ، وَلَا يُظَاهِرُوا وَلَا يُوَالُوا^(٣) عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ لَهُمْ

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا ، وشرروا ولا تنفروا » رواه البخاري
ومسلم وغيرهما (٢) كان يحب الشرب اليه الخلو البارد كما في حديث عائشة في
الشمائل وكان يستعذب له الماء من بيوت السقيا كما روى ابو داود والسقيا بالضم
عين على بعد يوم من المدينة او اكثر (٣) أي لا يعاونوا ولا يناصرو

النَّصْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ
وَالْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ
مَا لَبِثُوا أَنْ تَقَضُوا عَلَيْهِمْ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ،
وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَأَشْتَدَّتْ شِدَاؤَتُهُمْ لَهُ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلِعَنَ
أَمَنَ بِهِ، فَلَمْ يَسْتَفُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
وَمَا كَانَ مِنْ تَعْدِيهِمْ لِمَوَالِيهِمْ وَضَعْفَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، لِأَجْلِ إِرْجَاعِهِمْ
عَنِ الْإِسْلَامِ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى صَارَ حَوْهُمْ
الْبُهَيِّ وَالْعُدُونِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَانٍ، إِلَّا
أَنْ يَمْنَعَهُ أَحَدُ الْأَقْوَامِ، أَوْ يَصُدَّهُمْ عَنْهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ أَوْ الْمَسْجِدُ
الْحَرَامُ، عَلَى أَنْ قُرِيشًا صَدَّتْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ، بَعْدَ أَنْ قَلَدُوا الْهَدْيَ
وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ سَنَةَ ^(١)، حَتَّى صَالَحَهُمْ ^(٢) فِي الْحُدَيْبِيَّةِ ^(٣)،
— وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَّةِ وَالْقُوَّةِ ^(٤) —، عَلَى وَضْعِ
الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، وَأَنْ
يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَامَ، وَيَخْلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْمُتَقْبِلِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَوْ بِقَصْدِ الْإِسْلَامِ،

(١) الاحرام وتقليد الهدي أي ما يهدي إلى الحرم من الانعام دليل على عدم
ارادة القتال (٢) الحديبية بالتخفيف كدويبية ويشدده أكثر الحديين بترسمي
باسمها الموضع الذي حولها (وقيل واد هناك) وهو على نحو مرحلة من مكة من
أسفلها عن طريق جدة. وكان هناك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل
بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو أبعد عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلَا يَرُدُّوا عَلَيْهِ مِنْ آثَامِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، وَكَانَ ﷺ
 قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ السَّجِدَ الْحَرَامَ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنْ
 تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَلِذَلِكَ أَشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِيَاةُ
 مِنَ الصَّلَاحِ حَتَّى يَخِيفَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ، "لَوْلَا أَنْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ
 عَلَيْهِمُ السِّكِّينَةَ، وَعَجَّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا وَعَدَّهُمْ ثُمَّ مِنَ الْمَغَانِمِ
 الْكَبِيرَةِ،" (١) وَذَلِكَ بَرَهَانَ عَلَى إِيْتَارِهِ ﷺ لِلْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَتْ
 حُرُوبُهُ إِلَّا دِفَاعًا وَتَأْمِينًا لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ أَكْبَرَ فَوَائِدِ
 ذَلِكَ الصَّلَاحِ اخْتِلَاطُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِتْمَاعُهُمْ أَنْتَرَانَ
 وَتَبْلِيغُهُمْ حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِتَبْلِيغِ الْمُلُوكِ الْجَبَاوِرِينَ، (٢)
 فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِيهِ آمِرِينَ مُقْتَنِينَ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي هَذِهِ
 الْبِدْئَةِ، مَنْ كَانَ يُخْفِيهِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ تَعَالَى
 أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ، فِي تَنْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الصَّلَاحِ، مَبِينَةً مَا فِيهِ مِنَ
 الْحُكْمِ وَالْمَصَالِحِ، وَمُشْتَمِلَةً عَلَى أَخْبَارِ الْغَيْبِ وَالْوَعْدِ بِالنَّصْرِ وَالْمَغَانِمِ،
 فَسَمَّا دُفْتَحًا مَبِينًا، وَأَعْقَبَهُ كَمَا وَعَدَّ نَصْرًا عَزِيزًا، إِذْ كَانَ تَمْهِيدًا لِصَلْحِ

(١) لا صلح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يادروا الى
 الامتثال لما عراهم من ذهول الحزن ، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها هلك
 المسلمون ، وذكر لها ما كان فأشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى يخرج
 هديه ويحلق رأسه ، فخرج ففعل ذلك فبعوه فبحروا وصار يحلق بعضهم بمضا
 حتى كاد بعضهم يقتل بعضها من الغم

(٢) عجل لهم فتح خير فقد عاد (ص) من المدينة في ذي الحجة فاقام في
 المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج الى خيبر ففتحها في الحرم أول سنة سبع
 (٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وقارس

مَكَّةَ ، الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ النِّعْمَةَ ، وَأَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ إِنَّاكَ ، وَصَارَ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ،

وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانَ ، وَفِي سَنَةِ عَشْرٍ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حُجَّةَ الْوَدَاعِ ، الَّتِي هَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ
الْإِسْلَامِ ، وَعَلَّمَ الْأُلُوفَ أَحْكَامَ الْمَنَاسِكِ (١) ، وَأَمَرَ بَانَ يُبَلِّغَ
الشَّاهِدَ مِنْهُمْ النَّائِبَ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ بَلَغَ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ وَبَيَّنَّهُ تَبْيِينًا ، وَأَنْزَلَ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي مَسَاءِ عَرَفَةَ (الْيَوْمَ
يُثَسِّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا)

وَكَانَ ﷺ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ التَّبْلِغِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَدْعُو
إِلَى أُصُولِ الْإِيمَانِ وَكَلِمَاتِ الدِّينِ ، وَتَزَكِيَةِ النَّفْسِ بِتَطْهِيرِهَا مِنْ
أَذْرَانِ الرَّذَائِلِ ، وَتَحْلِيلِهَا بِأَحَابِرِ الْأَخْلَاقِ وَعَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ،
وَأَسْتِمَالَ نِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَدَنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ ، وَسَمَاوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ ،
فِيمَا تَظْهَرُ بِهِ حِكْمُهُ وَتُشَاهِدُ آيَاتُهُ فِي الْخَلْقِ ، وَتَتَسَّعُ بِهَا الْعُلُومُ
الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْحَقُّ وَتُكْتَفَرُ مَوَارِدُ الرِّزْقِ ، صَابِرًا مَعَ السَّابِقِينَ مِنْ

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة
الوداع من ١٠ إلى ١٠٠ وعشرين ألفاً . وسبب هذا الاختلاف انه خرج من
المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيما حولها وكان الناس ينضمون اليهم في الطريق عدا
من حج من سائر بلاد العرب

المؤمنين ، على الأضطهاد والأذى من المشركين ، ثم دخل الإسلام
 بالهجرة في عهد الحُرِّيَّةِ ، وتكونت له قُوَّةُ العَصَبِيَّةِ ، وجاء الوحي فيه
 مفصلاً أجمل في السور المكية من الأحكام ، وبيان الحلال والحرام ،
 وبيئت السنة النبوية بجميع فروع العبادات ، وكل ما يحتاج إليه من
 النصوص والقواعد للسياسة وفروع المعاملات ، فبذلك كله أكمل
 الله الدين ، وأتم نعمته على المؤمنين ، وقد تربي على ذلك الألف من
 المهاجرين والأَنْصار ، فنشروا هذا الدين القويم في الأقطار والأمنصار ،
 فأروا أم الحضارة والأديان القديمة ، من العدل والرحمة والسيرة
 القوية ، ما لم يروا مثله بأعينهم ، ولا رَوَوْا نظيره عن أحدٍ من
 قبلهم ، وقد كانت مدة التشريع بعد الهجرة ، كمدة التبليغ بعد
 البعثة ^(١) فبمده حجة الوداع بثلاثة أشهر ^(٢) قبض الله تعالى إليه نبيه
 المصطفى ، ورسوله المجتبي ، ورفع روحه الطاهرة إلى الرفيق
 الأعلى ، فتوفي صلى الله عليه وسلم تاركاً للأمة ما إن تمسكوا به لن يضلوا من بعده ،
 كتاب الله وسنته في تبينه وعترته العادلين بهما من أهل بيته ^(٣) ،

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة إحدى
 عشرة وكذلك كانت ولادته وبعثته وهجرته في يوم الاثنين . وفي ذلك إشارة إلى
 أن الإيمان به يلي الإيمان بالله تعالى ، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم
 في صحيحه من طرق عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ص) خطيباً بناءً
 يدعى حمماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وهبط ودكر ثم قال « أم بعد
 إلا أنها الناس فإنا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين
 أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به — فحث
 على كتاب الله ورغب فيه ثم قال — وأهل بيته ، أذكركم الله في أهل بيتي ، —

وَكَذَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، ^(١) وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ الْمَأْمُونُونَ ^(٢) ، مُؤَسَّسًا

= أذكر كرم الله في أهل بيتي، أذكر كرم الله في أهل بيتي « وفسر زيد أهل بيته بمن حرم عليهم الصدقة قال وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام . ولعمري انهم كانوا أحفظ الناس لهديه حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين ، وان فتن الكشيريون منهم بغلاة المهبيين ، فكانت فتنهم لهم أعم وأدوم من فتنه الامراء الظالمين ، اذ كان من أثرها في ذريتهم أن ترك اكثرهم العلم والاعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب ، غافلين عن قول جدهم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه . والله در بيت الامامة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والمحافظة على الامامة الى اليوم . والنقل بالضم وبفتحتين الشيء النفيس المصون وكذا متاع المسافر وحشمه . قال النووي قال العلماء سميا ثقلين اعظمهما وكبير شانهما وقيل لثقل العمل بهما . وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته انصواء يخطب فسمته يقول « اني تارك فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدي - أحدهما أعظم من الآخر - كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتي أهل بيتي ولن يتفراقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وروى احمد والظهيراني من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وعلم عليه السيوطي بالضعف . وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة بن اسيد ورواياته كثيرة وطرقه متعددة ذكرنا أصحابها . وروي حديث بمعناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه وبين الآخر الذي هو أصح منه رواية . ويؤيده حديث مرسل في الموطأ

(١) ورد في مناقب الخلفاء الاربعة أحاديث كثيرة في الصحيح وغيرها وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث العرابض بن سارية عند أبي داود والترمذي « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » الخ
(٢) ورد في فضل أصحابه « ص » أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم انهم أئمة لأمتهم فاذا ذهبوا أتاهم ما يوعدون . ومعنى أئمة حفظة على الدين ، ومنها الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الخ رواه الشيخان وغيرهما . والقرن العصر طال أو قصر

لَهُمْ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَوْلَةٌ عَادِلَةٌ رَحِيمَةٌ، وَحُكُومَةٌ شَوْرَوِيَّةٌ حَكِيمَةٌ،
فِيَدَتْ فِيهَا سُلْطَةً الْفَرْدِ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيْطَرَةَ أَهْلِ الْحَلِّ
وَالْعَقْدِ، ^(١) مُبَشِّرًا بِأَنَّ مُلْكَهَا سَيَمُّ الشَّرْقِ وَالْمَرْبِ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكُ
كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَأَعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ،
فَإِذَا وَسَدُوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ
لِفَقْدِهِ، ^(٢) وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْحَقِّ قَوَامَةً
عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ^(٣)

وَقَدْ تَمَّ كُلُّ مَا بَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نُبُوَّتِهِ تَتَجَدَّدُ
وَتَتَكَرَّرُ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَن قَوْمِهِ، وَرَسُولًا
عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، ^(٤) وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية
فأقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدرج (٢) اشارة الى حديث أبي هريرة عند
البخاري « اذا وسد الامر الى غير اهله فانظروا الساعة » (٣) اشارة الى ما ورد
في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي أمر الله وهم كذلك » وحديث المعيرة « لن
يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى ياتيهم أمر الله وهم ظاهرون » واللفظان
هنا لمسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي احاديث أخرى ذكر عصاة قتائل
على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل
يجوز اجتماعهم في قطر أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والحديث والمفسر
والمقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والعابد . اي لان اقامة
الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة وبهما وبالعامل بهما والدفاع عنه بالحجة وبالتهمة
(٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لمواقفة الصلاة الابراهيمية المشروعة في الصلوات،
والحمد لله على نعمه التي تم بها الصالحات